نشرنا في العدد (٢٩) من مجلة الأدب الإسلامي دراسة مقارنة بين أندلسيات شوقي وإقبال للدكتور عبدالماجد الكشميري، عقب عليها في العدد (٣٢) الأستاذ صلاح حسن رشيد بمقال اتهم فيه الدكتور عبدالماجد بأن مقاله مأخوذ من كتاب الدكتور حسين مجيب المصري (الأندلس بين شوقي وإقبال).

وقد رفض عدد من النقاد والباحثين المختصين في دراسات آداب الشعوب الإسلامية المقارنة هذا (الاتهام)، وقدموا الأدلة على بطلانه، وفيما يلي ثلاثة ردود وصلت إلى المجلة في وقت واحد، نضعها جميعاً بين يدي القراء ونأمل أن يجدوا فيها الفائدة والقول الفصل.

التحرير

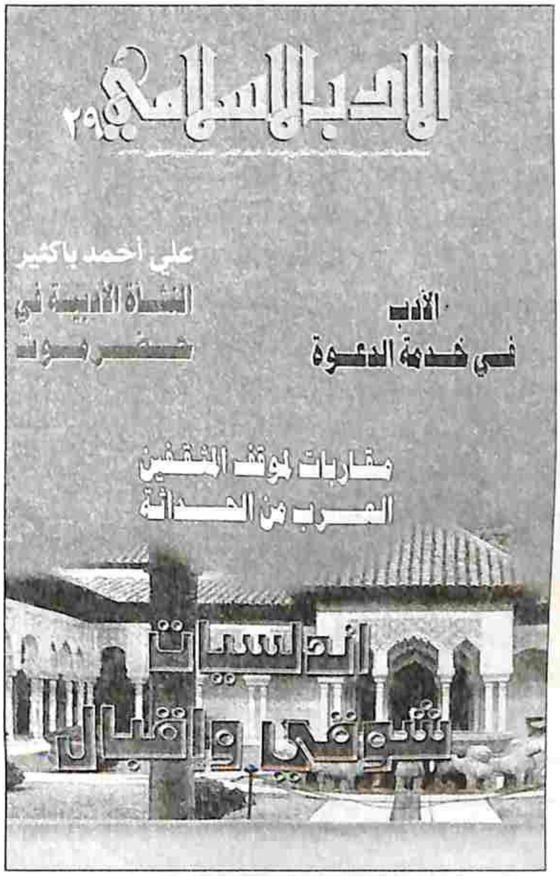

ثلاثة ردود حول:

أندلسيات شوقي وإقبال

الكشميري:

ما كتبه صلاح رشيد إساءة للعرب الذين نعتبرهم قدوة في أدب الخلاف.

جابر قميحة:

الكشميري أستاذ في ترجمة إقبال وليس بحاجة إلى وسيط ينقل منه أو عنه.

سمير عبدالحميد:

الكشميري علامة وأستاذ جليل، وفرق كبير بين دراسته وكتاب المصري.

رد الدكتور عبدالماجد الكشميري على صلاح حسن رشيد:

تعليق صلاح حسن رشيد حول مقالي أندلسيات شوقي وإقبال تهمة مردودة لجهله حقيقة الموضوع

بقلم: د. عبدالماجد الكشميري*

بالإشارة إلى تعليق السيد صلاح حسن رشيد المنشور في مجلة الأدب الإسلامي العدد ٣٢ في فصل «ردود ومناقشات» بعنوان « مقال شوقي وإقبال في العدد ٢٩ مأخوذ من كتاب الدكتور حسين مجيب المصري بنفس الاسم» أود أن أتناول بعض النقاط التي أثارها الكاتب بالدراسة والتحليل حتى تستبين الحقيقة.

فمن الناحية المنهجية سوف نترك مجال البت والفصل للقراء الأفاضل الذين سنحتكم إلى وعيهم وثقافتهم. ومن المناسب كذلك أن أشير إلى أنني قد أعددت دراستي تلك حول أندلسيات شوقي و إقبال وقدمتها في مؤتمر دولي حول الأدب المقارن بقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة علي كراه الإسلامية في فبراير ١٩٩٨، وقد أرسلته للنشر بمجلة الأدب الإسلامي وبقيت قيد الدراسة لدى التحرير زمناً طويلاً حتى يئست من نشره إلى أن تم نشره في العدد ٢٩ من المجلة الغراء فشكراً لهيئة تحرير المجلة على هذا التكريم والتشجيع.

* الجامعة الملية الإسلامية - نيودلهي - الهند.

لم اطلع على كتاب المصري

وكذلك لا أتعدى السياق إذا اعترفت أن كتاب الأستاذ الكبير الدكتور حسين مجيب المصري حول الأندلس وإقبال وشوقي الذي أشار إليه الأخ الفاضل صلاح حسن رشيد – لم أسمع به ولم أره ولم أطلع على وجوده إلا من خلال تعليق الأخ الفاضل، وقد أشار إلى أنه طبع قبل عامين في القاهرة، وكما أسلفت في البداية أنني انتهيت من تحضير هذه الدراسة في فبراير ١٩٩٨م فلا بد أن الكتاب المذكور قد صدر بعد مدة لا بأس بها من مجيء دراستي إلى حيز الوجود. والمثقفون يقدرون ويعرفون أن آلاف الكتب تصدر في العالم العربي ولا يصل منها إلى بلادنا البعيدة عن العربية والعروبة إلا القليل النادر جداً. والحقيقة أنني لم أكن سمعت باسم الأستاذ الكبير الدكتور حسين مجيب المصري عندما قمت بإعداد تلك الدراسة، وقد قرأت اسمه لأول مرة في السنة الماضية عندما بدأت التحضير لكتابة مقال حول كتاب « روائع إقبال » للشيخ الندوي رحمه الله، واطلعت على أن له أعمالاً وترجمات لمؤلفات الدكتور إقبال، وذلك من خلال بحث للأستاذ الدكتور محمد اجتباء الندوي باللغة الأوردية، إلا أن معرفتي به لم تتجاوز من الاسم إلى الرسم، ولم أستطع الحصول على أي كتاب له إلى هذا اليوم.

وقد كان هذا التعليق أثار فضولي واشتياقي لكتابه وبحثت عنه في مكتبات دلهي واستفسرت أساتذة اللغة العربية والمثقفين المعنيين بالدراسات العربية والمقارنة فلم أجد هذا الكتاب، ولا كتاباً آخرللمؤلف عند أحد من هؤلاء. وقصدي وراء الخوض في هذه التفاصيل هو بيان قلة حظي بفرصة الاستفادة من مؤلفات الأستاذ حسين مجيب المصري، وكذلك بيان براءتي من تهمة السرقة والانتحال والسطو. لأنها تهمة لا أساس لها من الواقع ولا حظ لها من الصحة ولا تستند إلى دليل، فهي لذلك مردودة على صاحبها.

وقد قرأت تعليق الأخ الفاضل صلاح حسن رشيد من أوله إلى آخره عدة مرات لأعرف سبب امتعاضه وانفعاله الشديد ولجوئه إلى هذا الأسلوب الذي لم نعهده لدى المثقفين العرب من التسرع إلى إصدار الأحكام الطائشة. وقد وجدت في السطور وما بينها ما يدل على أن ذلك يرجع لأسباب يمكن استخلاصها في النقاط التالية:

أولاً: قلة معرفته بالموضوع المطروح، فكل من له أدنى إلمام بالموضوع (أندلسيات شوقي وإقبال) يدرك حتى بدون القراءة المتأنية في هذا التعليق أن صاحبه يرسل الحديث جزافاً ويعالج محتوى الدراسة رجماً بالغيب دون الاطلاع على المادة الأساسية التي تناولتها دراستي. وقد وشت بعض عباراته دلالة مَرة وصراحة أخرى أنه يدلي برأيه في موضوع لا يعرف أبجدياته، ومعروف أن الدارس الذي يخوض مجالاً ليس من رجاله يأتي بالمعجزات والأعاجيب، وإليكم بعض هذه المعجزات:

يقول الأخ الفاضل«....حتى إن الموضوعات التي عقد الدكتور حسين المقارنة بينهما هي هي بلحمتها وسداها عند الدكتور عبد الماجد تدل بنفسها على صاحبها وعلى اقتفائه أثر الدكتور حسين في موضوعاته داخل الكتاب وتقسيماته المتشعبة وموازناته بين أشعارهما».

ردود ومناقشات

دراسة مقارنة

أندلسيات شوقي وإقبال

مقال « أندلسيات شوقي وإقبال » في العدد ٢٩ مأخوذ من كتاب للدكتور حسين مجيب المصري بنفس الاسم !!

صلاح حسن رشيد
- مصر -

٨٠

أبعاد الموضوع وملابساته

تفادياً من الارتباك والشرود نحن هنا في حاجة إلى أن نطلع على أبعاد الموضوع وملابساته التي اقتصرت فيها دراستي حسب ما تفرض علينا المنطقية والمنهجية، فإن أندلسيات شوقي عبارة عن القصائد التي قرضها شوقي في إسبانيا خلال منفاه أو بعد عودته، منها ما تناول فيها – بصفة أساسية – أيام إقامته بها أو انطباعاته حولها والدروس والعبر التي تلقنها بوحي الظروف والآثار والتاريخ. وعدد هذه القصائدأربع فقط وهي:

١- الرحلة إلى الأندلس.

٢ – أندلسية.

٣- صقر قريش.

٤ - بعد المنفى.

بينما المنظومات التي جادت بها قريحة إقبال خلال رحلته إلى إسبانيا هي ست :

١- مسجد قرطبة وهي أطولها.

٢ - الدعاء.

٣- إسبانيا.

٤- شكوى الشاعر المعتمد بن عباد.

٥- مناجاة بين عبدالرحمن الداخل ونخلته.

٦- دعاء طارق بن زياد في ميدان المعركة.

وغني عن البيان أنه إذا كان موضوع دراستي تلك هو المقارنة بين القصائد الأندلسية لشوقي الموجودة في ديوانه «الشوقيات» وبين منظومات إقبال حول الأندلس الموجودة في ديوانه «بال جبريل» باللغة الأوردية فلا بد أن يتناول الحديث محتويات هذه القصائد ويتعرض للموافقات التي توجد فيها ويستعرض الفروق التي تنطوي عليها، ودراستي لا تخرج قيد شعرة من إطار هذه المادة، فكلها مستفادة ومستلهمة من «الشوقيات» ومن «بال جبريل» ولم آخذ ولم أستعر كلمة واحدة من أحد غيرهما. والمجال مفتوح لاختبار صحة هذه الدعوى بالرجوع إلى مصدري دراستي للتحقيق والمقارنة والمقابلة، وسوف يستكشف الدارس أن مهمتي في تلك الدراسة المتواضعة لم تتعد التنصيص على هذه المواضع واستخلاص بعض النتائج البادية الرأي، وأنني لم آخذ ولم أستعر من أحد غير شوقي وإقبال.

فإذا كان أحد غيري تناول نفس المادة، ودرس المصدرين، وقارن بينهما فسوف يصل إلى النتائج المتقاربة أو المتشابهة، أو نفسها. ولا يستلزم هذا بالضرورة أن أحداً من الباحثين أخذ من الآخر أو «سطا» أو «تعدى» كما تفضل الأخ الفاضل، وخاصة إذا كانت بينهما مسافات تتخللها البحار والجبال والصحارى، وكانا في قارتين مختلفتين لغة وثقافة، ولذلك فإن التشابه أو التقارب أو التوارد الذي اعتبره الأخ الفاضل أخذا غير مشروع هو ليس كما ظن وادعى لسبب أن دراستي ودراسة الأستاذ حسين المصري تعتمدان على المادة المرجعية نفسها، وتدوران حول نقطة واحدة من مصدر واحد، وينعكس هذا المصدر في الدراستين بصورة وضاءة.

ولمزيد من تبسيط هذه القضية على المستوى النظري والعملي نأخذ على سبيل المثال شعر النقائض بين جرير والفرزدق، يقوم بدراسته وتحليله ومقارنته باحث في مصر، كما يتناول الموضوع طالب هندي ويركز جهوده في دراسة أدبية في إطار الموضوع، فهل يعد عمله هذا أخذاً أو ابتساراً أو اقتباساً من عمل نظيره المصري - ولا يغرب من البال أن الأول لم يطلع على نتائج بحث الأخير-؟ فإذا كان الجواب نعم، فتاريخ الأدب العربي والنقد الأدبي كله «أخذ» و «ابتسار» و «تعد» و«سطو»، والعقل لا يقبل هذا. وأما إذا أوَّلنا ملاحظات الأخ الفاضل بأنه يقصد بها بيان أنه إذا تناول باحث موضوعاً ما وخصه للبحث والدراسة، وكتب فيه شيئاً فإن هذا الموضوع قد أصبح ملكه الخاص، ولا يجوز لأحد أن يعالجه، ويخوض فيه، أو يتعدى عليه، فإنه إذا فعل ذلك فإنه سوف يعتبر متعدياً ويواجه حراساً مثل الأخ صلاح حسن رشيد مدججين بسلاح السلاطة والطيش- فلا تقبل هذه الإقطاعية العلمية كذلك، لأن المواضيع الأدبية أو الفكرية ليست حكراً على شخص أو أشخاص مهما كانت مكانتهم، ولم نسمع بقانون اتخذته مجالس التشريع في أي بلد من العالم المتحضر يقر منح البراءات لأشخاص معينين للحديث في مواضيع أدبية أو فكرية معينة.

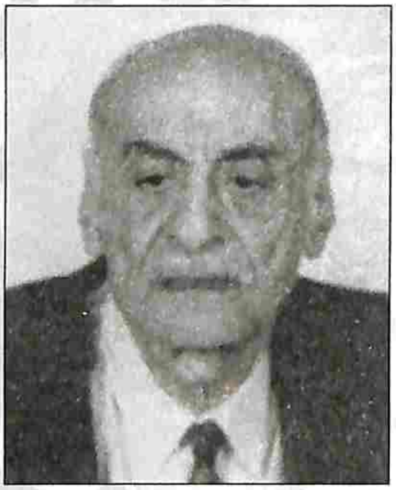

د . حسين مجيب المصري

بين مسجد قرطبة وقصر الحمراء

والدليل الآخر الذي يشهد بقلة معرفة الأخ الفاضل بحقيقة الموضوع ومادته المرجعية أنه يقول «لقد تحدث الدكتور حسين مجيب المصري عن تناول إقبال لمسجد قرطبة وانبهاره به فقط بدلاً من قصر الحمراء وهو نفس الأمر الذي تناوله د. عبدالماجد بنفس الأسلوب والفكرة والعرض».

هنا اتضح تماماً أن الأخ الفاضل لا يعرف شيئاً عن المواضيع التي تناولها إقبال في منظوماته الأندلسية. إن إقبال لم يتحدث عن قصر الحمراء فكيف أدعي في دراستي أنه تحدث عنها، أو أحمل قصائده من المعاني التي لا تحتملها. فكيف يستدل بهذا على أنني اقتبست هذا من كتاب الأستاذ حسين المصري. هذا افتراء لا يستند إلى دليل، بل الحقيقة أن كلاً منا اقتبس من المصدر الواحد وهو إقبال. وبهذا يبدو أن الأخ صلاحاً سمع أشياء لم يستوعبها إحاطة وفهماً واختلطت عليه لقلة اطلاعه على حقيقتها،

وأسرع إلى الحكم فيها قبل الدراسة المتأنية في مصادرها الأولية. وقد بلغ الأخ ذروته في براعته الصبيانية وتطفله البالغ عندما لاحظ «.... أن كتابة إقبال عن جامع قرطبة كان شعراً في حين كان نثراً عند الدكتور عبدالماجد، لكن هذا لا يمنع أن جوهر المضمون واحد بين الرجلين». الأخ الفاضل يدعي أن الفرق بيني وبين الدكتور حسين المصري هو أن إقبالاً يتحدث عن جامع قرطبة شعراً، وتحدثت عنه نثراً، فهل يعد هذا شيئاً بيني وبين الدكتور حسين المصري أم بيني وبين إقبال ؟! ثم قوله « لكن هذا لا يمنع أن جوهر المضمون واحد بين الرجلين» أي بيني وبين إقبال، أليس هذا مما يرثى عليه.

إن الكاتب الفاضل لا يعرف أن إقبال لم يقرض الشعر بالعربية، و أن قصيدته حول مسجد قرطبة هي باللغة الأوردية وأن النثر الذي يقارن بينه وبين شعر إقبال هو ليس انتحالاً أو اقتباساً بل هو ترجمة وليس شيئاً آخر. أما تعقيبه هذا بقوله: « إن الندوي سطا على كتابات الدكتور حسين مجيب المصري » أليس هذا تحاملاً جاهراً وخروجاً عن الموضوع وتكراراً للافتراء والتهمة المكذوبة. مفاد حديثه أن الشاعر إقبالاً تحدث عن مسجد قرطبة شعراً، وتحدثت عنه نثراً فلذلك يعد عملي سطواً على كتابات الدكتور حسين المصري.

ومما يؤكد جهله المطلق بحقيقة الموضوع قوله: « حتى في حديثه عن تأثر شوقي بآثار الأندلس العظيمة ووقوفه أمام أطلالها وأمجادها الباقية، وإحساسه بعظمة الماضي وحسرة الحاضر، كذلك في تعلق إقبال بالروحانيات ورؤيته للمظاهر على أنها جواهر، كل هذا مأخوذ بنصه من كلام الدكتور حسين المصري».

أقول، لم تتناول دراستي إلا ما ورد عند شوقي وإقبال في قصائدهما وما تضمنت هذه القصائد من الدروس والانطباعات. ولم يكن دوري فيها إلا تناولها بالتفسير والمقارنة والوقوف ببعض النقاط المستلهمة من هذه القصائد فلا ينشأ هنا سؤال الأخذ أو الاقتباس من أحد. وأنا متأكد من أن الأستاذ حسين مجيب المصري في كتابه الذي أشار إليه الأخ الفاضل - ولم أطلع عليه - قد ركز على هذه القصائد واستخلص منها النتائج، فأنا والدكتور حسين مجيب المصري استقينا مادتنا من مصدر واحد، ومن المعقول بل من اللازم - إذا كان مجال جهودنا واحداً بتناولنا نفس القصائد بالدراسة والتحليل والمقارنة - أن يكون هناك تقارب أو توارد وحتى التوافق في أشياء كثيرة - على أن الأسلوب يجب أن يكون مختلفاً لأن لكل كاتب أسلوبه الذي يخصه، فكيف استلزم أنني أخذت مقالي « كله بنصه» من كتابه، وأين الدليل الذي يؤيد ادعاءه، ألم يكن بإمكان الأخ أن يثبت عظمة مكانة الدكتور حسين مجيب المصري والإشادة بجلائل أعماله إلا بالنيل من كرامة عجمي يتجرأ على الكتابة باللغة العربية، وهل تستلزم جلالة شأن كاتب وتقدمه في مجال البحث والعلم استهانة الآخرين الذين يبذلون جهوداً متواضعة في المجالات ذاتها حسب مقدراتهم وكفاءاتهم؟

ورغم احترامي وتقديري للأستاذ حسين مجيب المصري وأعماله الجليلة أرى من المناسب أن أشير إلى جانب آخر من القضية، وهو أن دواوين إقبال الشعرية كلها إما بالفارسية أو بالأوردية، والموضوع المطروح على طاولة البحث يتناول ديوانه الأوردي «بال جبريل»، وبالنسبة لي ليست هناك حاجة إلى وسيط عربي لاستيعابها والاطلاع على أسرارها بحكم التفاهم و الوحدة الذوقية والانسجام الطبيعي الذي يحصل بصفة تلقائية بين أفراد أسرة لغوية واحدة.

حبذا لو كان الأخ الفاضل قدم على وجه الحصر والتخصيص شيئا مما أخذته من كتاب الدكتور حسين مجيب المصري سواء كان معلومة أو فكرة أو جملة أو عبارة، لأنه لو كان خص شيئاً ونص عليه لكان ذلك استيفاء لمتطلب أساسي من الأمانة العلمية والموضوعية. لكنه أحب أن يعزف على وتر واحد من تهمة السطو والتعدي والأخذ والاقتباس لضيق أفقه وضآلة معرفته بالموضوع.

بين جهله لإقبال وإهماله لشوقي

ولنتقدم خطوة أخرى لاستعراض الجزء المتبقي من تعليق أخينا الفاضل حيث جمع فيه شواهد كثيرة على جهله بأعمال الشاعر إقبال – وله العذر في ذلك لأنها أصلاً باللغة الأوردية والفارسية– وكذلك أعمال أحمد شوقي – ولا نعذره في ذلك، لأن الشوقيات كانت في متناول يده. فمن الشواهد التي تدل دلالة واضحة على جهله بأبجديات المادة المرجعية (قصائد شوقي وإقبال) قوله: « وفي المقال المذكور كذلك تحدث الدكتور عبدالماجد عن قصيدة إقبال التي خصصها لصقر قريش ولنخلته التي ذكرته بماضيه السعيد، وحنينه الدافق تجاه بلاد الآباء والأجداد، القصة بحذافيرها هي هي مع اختلاف في الألفاظ والعبارات لكن يبقى المضمون واحدا بين الرجلين» طبعاً يبقى المضمون واحداً لأن الحديث يدور حول موضوع واحد بالتركيز على نصوص شعرية معينة، حديثي كان عن تحديد محتويات هذه المنظومة الصغيرة التي تتكون من عشرة أبيات فقط فإذا درسها باحث آخر وتناول سرد أغراض المنظومة بالذات فهل تتغير محتوياتها عنده؟ فإذا ذكرت النخلة التي تحدث عنها إقبال وأطلقت عليها تسمية النخلة، وذكرت عبدالرحمن الداخل الذي ذكره إقبال، وذكرت الحنين إلى الوطن الذي تضمنته هذه القصيدة، ثم يأتي باحث آخر يتناول نفس هذه القصيدة بالدراسة والتفسير فيذكر النخلة ويذكر عبدالرحمن الداخل والحنين إلى الوطن فهل يسمي الأشياء تسمية أخرى؟ وهل نقول: إن القصة بحذافيرها هي هي وهي مأخوذة ؟ أم كلاهما مأخوذان من مصدر واحد ويدوران حول أصل واحد وموضوع واحد؟ العقل يعتبره ظاهرة وحدة الموضوع، فأية تسمية نختارها يا ترى؟

ويقول الأخ الفاضل « وأيضاً في حديث شوقي عن مأساة المسلمين في أدرنة بالبلقان.... نجد د. عبدالماجد يتحدث بنفس المنطق والروح عند الدكتور حسين مجيب المصري بلا إضافة»، منشأ هذا السؤال هو نفس المنهج الذي مشى عليه الأخ من التطاول رغم التطفل وقلة المعرفة. كان الاعتراض واردا لو خرجت دراستي عن إطار المعاني التي تضمنتها قصائد شوقي، وألحقت بها شيئاً من عندي وعزوته إلى الشاعر، فإذا تحدثت بما في هذه القصائد بدون نقص أو زيادة، وتحدث باحث آخر كذلك في المعاني التي جاءت في القصائد نفسها، فالمنطق يحتم علينا أن نسمي الأشياء بأسمائها، ونعتبر هذا الاتفاق ناتجاً من وحدة المصدر ووحدة الموضوع، وكل منا – أنا والأستاذ الكبير– اقتبس من شوقي، فلا غرو أن يتشابه ويتوارد شيء كثير في دراساتنا.

وهناك ركيزة أخرى في سياق حديثنا عن شعر إقبال، ولها أهمية مبدئية في نقد وتقويم الدراسات حول شعره والتي تجاوز عددها ألفين بمختلف اللغات العالمية. وهي أن شعر إقبال قد بلغ في التماسك الفني والوضوح الفكري مكاناً يصعب على الباحثين سلوك شتى المناحي في تعبيره وتأويله، ولا يرخي جبروت عبقريته الشعرية زمام الدارس إرخاء يبعده عن نقطة تركيزه، فلذلك لا يبقى هناك مجال لضروب القول للباحثين. فلو كان هناك خمسون محاولة أخرى في الموضوع الذي تناوله الدكتور حسين مجيب المصري لكانت كلها خاضعة لهذه الظاهرة.

العرب قوم يقرؤون

ومن الاستنباط الخاطئ إن لم نسمه بهتاناً وافتراء قوله: «وقع د. عبدالماجد في الخطأ عندما ظن أن أحداً لم ولن يقرأ كتابات الدكتور حسين مجيب المصري، وفي المقدمة منها كتابه القيم: الأندلس بين شوقي وإقبال،!!! أخطأ د. عبدالماجد عندما اعتقد أن فعلته هذه لن يكشفها أحد لقناعته بأن العرب قوم لا يقرؤون ».

هذه الفقرة لا تحتاج إلى تعليق لأنها تصور العقلية المعوجة والنفسية المعقدة و الغموض والشرود الذي اتصف به الكاتب، وتدل كذلك على أن تفكيره لا يمشي خطأ مستقيماً من الاتزان والتعقل، إنه يدعي انطلاقاً من التحيز السافر أنني ظننت « أن أحداً لم ولن يقرأ كتابات الدكتور حسين مجيب المصري..» النفي هنا مؤكد ومزدوج يتناول الماضي والمستقبل !! من أين اطلع أخونا على هذا السر.

هل يعقل أن دارساً عجمياً يكتب مقالاً ويحاول جهده أن تكون لغته مفهومة لدى القراء العرب، وتكون المعلومات التي يضمنها فيه صحيحة ومنسقة منطقياً ، ويرسل مقاله إلى مجلة ذات مستوى رفيع للنشر – وهو على وعي تام من حرج الموقف إذا لم يلتزم بالمنهجية العلمية، لأنه يخاطب صفوة المثقفين العرب، ويعرف « أن صاحب البيت أدرى بما فيه » بخصوص المواضيع التي عالجها الكتاب العرب – هل يعقل أن هذا الدارس الذي يقدم باكورة جهده بيديه المرتعشتين إلى الأساتيذ العرب مستميحاً العذر بأنها بضاعة مزجاة، ويرجو أنها تقبل برحابة صدر. هل يعقل أن هذا الدارس جاء ليمحو اسم الأستاذ الدكتور حسين مجيب المصري ويبعثر كتبه، ويقتلع من أذهان العرب وعقولهم تقديره، ويشغلهم عن كتبه القيمة بمقالته المتواضعة ويسحر العرب ويعمي العيون والعقول والأفئدة والأذواق» حتى يحل محل الأستاذ الدكتور حسين مجيب المصري؟ هل يعقل أنه يفعل كل ذلك اقتناعاً بأن العرب قوم لا يقرؤون شيئاً ولكن يقرؤون مقاله؟!!! لكن يا لسوء حظي قرأ الأخ صلاح حسن رشيد مقالتي !! ولا يزال في الأمة العربية رجل يقرأ، ويا ويلتي إنه كشف القناع عن هذه المؤامرة !!! على حد زعم الأخ الفاضل.

وقد رأيت في تعليق الأخ الفاضل نموذج التخبط والعشوائية الذي يتولد إذا ازدوج الجهل بالتحيز، وامتزجت نزعات العنصرية بالإفراط في تقديس بعض الشخصيات والازدراء بالآخرين، ورغم أن هذا التعليق لا يرتقي من الحياد والموضوعية أدنى درجاته التي يستحق بها تسمية النقد، فبحكم أنه نشر في مجلة الأدب الإسلامي فكان من واجبي التجاوب وإبانة موقفي في ضوئه. إن كافة الاعتراضات التي وردت فيه ناتجة أساساً عن قلة معرفة الموضوع ونوعيته وتقوم على أساس هش من الاعتقاد الخاطئ.

وبمجرد قراءة الفقرة الأولى من تعليقه يدرك الدارس أن الكاتب تقوده الأهواء والانفعالات بدلاً من الموضوعية والاتزان، حيث تدل بدايته على أنه بمجرد قراءة العنوان على غلاف المجلة أصدر حكمه أنه منتحل ومأخوذ. فالدارس الذي يصل إلى النتائج ويخلص إلى الخواتم قبل قراءة البحث لا يرتجى منه أن ينصف الموضوع لأنه قرر شيئاً مسبقاً، يقول: «.... إذ سرعان ما طالعت على غلافها – المجلة – حادثاً مهولاً أعادني بالذاكرة إلى الوراء إلى عامين على الأقل، رأيت فيها الأصل الذي ضل طريقه في المجلة بفعل فاعل، ربما لا يدري مغبته ما تخطه يمينه من جهد الآخرين وعرقهم وبحثهم وهو السبب الذي جعله لا يشير للأصل في مقاله بذات المجلة».

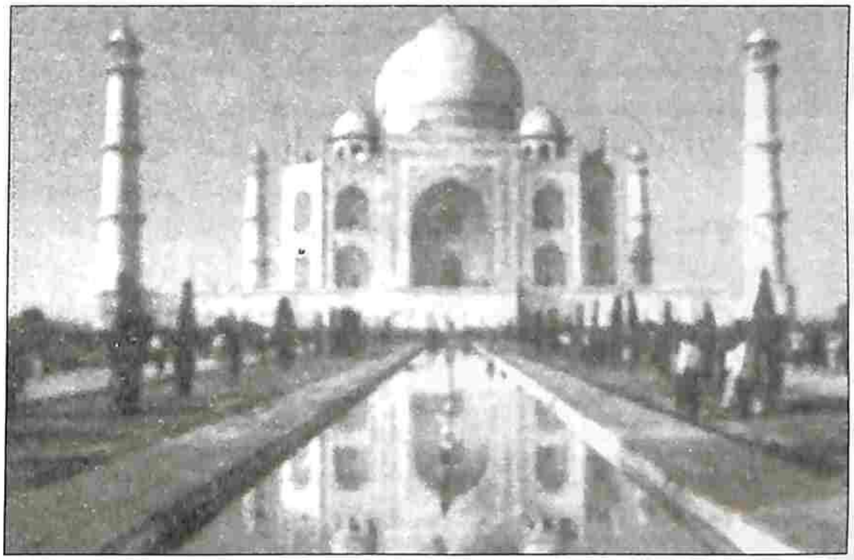

وإني لحلو تعتريني مرارة

لقد ضل الأخ نفسه عن الطريق السوي في فهم الموضوع وأبعاده وأصله ومادته ومصدره، إنه حفظ شيئاً وغابت عنه أشياء. حفظ فقط أن الأستاذ الدكتور حسين مجيب المصري ألف كتاباً في الموضوع، ثم هو لا يعرف شيئاً من أساسيات الموضوع ومقوماته، ولا يعرف إقبالاً ولا يعرف شوقي. إنه تورط في مآزق الضلال التي لا يرى منها إلا الدكتور حسين مجيب المصري، وكلما أمعن في الرؤية أمعن في الضلال، ونجاته تنحصر في تقويم نفسه وإعادة الأمور إلى نصابها ومجراها الطبيعي حتى يراها من المشهد المنظور الصحيح، ولأن مشكلته الأساسية هي سوء الفهم الناتج عن قلة المعرفة والاطلاع، ولا تنحل هذه المشكلة ما دام يتيه في أودية خياله. يجب عليه أن يرجع أولاً إلى الشوقيات، وثانياً إلى تراجم ديوان إقبال « بال جبريل»، ثم يقرأ كتاب الأستاذ حسين مجيب المصري ويقرأ دراستي ويقارن بينهما، وعندها سيرى الفرق، سيرى ذاتيتي وأصالتي في دراستي رغم وحدة الوضوع.

واستهدافه إياي شخصياً بهذه الصفة المتكررة يؤكد سوء النية والأسباب الشخصية الغامضة، وقد خرج من حد المعقول في سلبيته وتعتمه، وتدل عباراته كأنه مطارد بكابوس مخيف يتراءى له في كل مكان.

أما الأسلوب الذي اختاره الأخ صلاح في التعبير عن آرائه فلم نتوقع أن أحداً من حملة القلم – الذي أقسم به جل وعلا في محكم تنزيله وأقسم بما يخط القلم ﴿ ن والقلم وما يسطرون ﴾ سينحط إلى هذا المستوى الداني في التعبير بدون الاستناد إلى دليل علمي على دعاويه، نجد عباراته مليئة بالتبجح والتطاول وكلماته تنم عن التحامل والذاتية الطائشة التي باتت تراوده خلال كتابته هذا التعليق.

فكانت هذه إساءة إلى العرب الذين ما زلنا نعتبرهم قدوة في أدب الخلاف – قبل أن تكون إساءة في حقي – كما أنها إساءة إلى الأستاذ الدكتور حسين مجيب المصري نفسه، لأن محاماة «قضيته» بهذا المستوى الثقافي والعلمي، وهذه الحصيلة المعرفية استهانة به وتشويه لصورته، كما أنها إساءة إلى مجلة الأدب الإسلامي التي هي ذات رسالة سامية، وصفحاتها تتطلب درجة من التأدب والالتزام بمبادئ السلوك والمعاملة الحسنة التي تليق بالمثقفين في إبداء الرأي المعارض أو الخلاف.

معذرة من القراء إذا ندت كلمة قاسية من قلمي « وإني لحلو تعتريني مرارة».■

تعقيب الدكتور سمير عبدالحميد إبراهيم:

أستاذنا د. المصري يرى أنه لا بأس في إعادة الكتابة عن الموضوع الواحد وترجمة ما ترجم

د. سمير عبدالحميد *

لا شك أن مجلة الأدب الإسلامي تمثل اليوم نافذة تطل على الدراسات الشرقية وآداب الشعوب الإسلامية، واهتمام الباحثين والدارسين في مجال اللغات الشرقية يثري هذه المجلة بلا شك ، وقد تثير المجلة أحياناً قضايا مهمة تحتاج إلى نقاش وحوار، قد يؤدي إلى نتائج تفيد القراء وبخاصة المهتمين بالدراسات الشرقية وآدابه. وفي العدد ٣٢ من مجلة الأدب الإسلامي طالعت ما كتبه السيد صلاح حسن رشيد من مصر بعنوان: مقال أندلسيات شوقي وإقبال في العدد ٢٩ مأخوذ من كتاب للدكتور حسين مجيب المصري بنفس الاسم!!

قرأت ما كتبه السيد صلاح حسن رشيد. وأعجبني أسلوبه الجميل، وآخذ عليه هجومه الشديد على الدكتور عبدالماجد الكشميري الندوي، فليس هكذا يكون النقاش والحوار، خاصة في مجلة «الأدب الإسلامي»، وكنت أتمنى على السيد صلاح حسن أن يحسن أولاً الظن بالدكتور عبدالماجد، ثم يناقش فيما بعد القضية التي يثيرها.

وكنت أتمنى أيضاً أن يحسن الظن بمجلة «الأدب الإسلامي» فقد كتب : "... طالعت على غلافها حادثاً مهولاً أعادني إلى الوراء.. إلى عامين على الأقل، رأيت فيها الأصل الذي ضل طريقه إلى المجلة بفعل فاعل... إلخ. ثم يتهم السيد صلاح الدكتور عبدالماجد الكشميري الندوي، فيكتب:

"... ربما لا يدري مغبة ما تخطه يمينه من جهد الآخرين وعرقهم وبحثهم... إلخ" . ويكتب عن مقال الدكتور عبد الماجد الذي نشر في العدد ٢٩ من مجلة «الأدب الإسلامي» ما يلي:

" المقال من أوله إلى آخره مأخوذ ومقتبس بعناية.. من عمل للعلامة الدكتور حسين مجيب المصري.... لقد تحدث الدكتور حسين مجيب المصري عن تناول إقبال لمسجد قرطبة وانبهاره به فقط بدلاً من قصر الحمراء الأمر الذي تناوله د. عبدالماجد بنفس الأسلوب والفكرة والعرض..."

ويشدد السيد صلاح حسن من هجومه على الدكتور الندوي: ".... لكنه (أي الندوي) سطا على عمله (أي الدكتور حسين مجيب المصري) جهاراً نهاراً ثم تجاهله كأنه نسي

---

* أستاذ اللغات الشرقية وآدابها - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

منسي. وفي المقال تحدث الدكتور الندوي عن قصيدة إقبال التي خصصها لصقر قريش ولنخلته... وكلامه هو هو مع اختلاف في الألفاظ والعبارات لكن يبقى المضمون واحداً بين الرجلين.. إلخ».

وأخيراً يقول الأستاذ صلاح رشيد: « إن الدكتور عبدالماجد أجاد في تغيير الألفاظ من بداية مقاله إلى منتهاه لكي تعمى العيون والعقول والأفئدة عن روح الدكتور المصري في عمله وفي كتابه الرائد». انتهى.

ترددت في الكتابة عن الموضوع لكني رأيت أن هذه فرصة للكتابة عن الأبحاث والكتب التي تطبع هذه الأيام وتتناول موضوعات في أدب الشعوب الإسلامية وبخاصة في الفارسية والأوردية، وأتساءل هل تناول أحد الباحثين لموضوع ما يجعله يمتلك البحث في هذا الموضوع، لايقربه غيره، أم أن موضوع البحث مفتوح للجميع:؟!

أستاذنا الدكتور حسين مجيب المصري الذي عشت معه أسبوعين أو أكثر حين زار لاهور ضيفاً على أكاديمية إقبال يجيب بنفسه بالإيجاب على هذا التساؤل، كيف؟!

١ – لقد ترجم الأستاذ الدكتور محمد سعيد جمال الدين ديوان إقبال «جاويد نامه» من الفارسية إلى العربية وجعله موضوع أطروحته للدكتوراه، وطبع الكتاب القيم فيما بعد طبعة جميلة، ونال إعجاب الباحثين... ماحدث هو أن أستاذنا الدكتور حسين مجيب المصري قام بترجمة نفس الديوان شعراً، وسماه « إلى السماء»، وطبع الكتاب أيضاً، فلا حرج في ذلك.

٢ – ترجم كاتب هذه السطور ديوان إقبال "أرمغان حجاز" من الفارسية والأردية إلى العربية، ضمن بحثه للماجستير بعنوان إقبال وهدية الحجاز، وطبع الكتاب في لاهور قبل زيارة أستاذنا المصري للاهور، وبعد فترة قام أستاذنا الدكتور حسين مجيب المصري بترجمته إلى العربية شعراً، ولم يترجم القسم الأردي.

٣ – وأكثر من هذا أن أستاذنا يفكر الآن مع بعض المتخصصين في الأوردية في القيام بترجمة كليات إقبال أي جملة دواوين إقبال، ومنها ما ترجمه الدكتور عبدالوهاب عزام شعراً مثل الأسرار والرموز ورسالة المشرق وغيرها، ومنها ما ترجمه الشيخ صاوي شعلان بالواسطة شعراً، ومنها ما ترجمه بعض أدباء سوريا والعراق شعراً أو نثراً بالواسطة، وبعض ما ترجمه الزبيري اليمني شعراً أيضاً.

والخلاصة أن أستاذنا الدكتور حسين مجيب المصري لا يرى بأساً في أن يقوم الباحثون بالكتابة عن الموضوع الواحد وحتى إعادة ترجمة ما ترجم !! وأذكر أنني استأذنت من أستاذي الدكتور يحيى الخشاب – يرحمه الله – الكتابة عن الأسرار والرموز التي ترجمها الدكتور عزام فسمح لي فقمت بكتابة مقدمة للديوان، وترجمت الأشعار التي لم يثبتها عزام في ترجمته، ثم نشرت كل هذا مع ترجمة الدكتور عزام للأسرار والرموز في طبعة صدرت في باكستان، ثم صدرت بعد ذلك في مصر بعنوان الأسرار والرموز، لأنني لا أتفق مع الرأي القائل بإعادة دراسة العمل الواحد من قبل أكثر من باحث، ومن الأفضل التوجه في الوقت الحالي إلى الكشف عن كنوز « اللغتين الفارسية والأوردية والتركية » بدلاً من الدوران في نفس الحلقة، لاستكمال سلسلة الأبحاث بحلقات جديدة.

وقد لاحظت في الآونة الأخيرة مثلاً عدم وجود تنسيق بين الباحثين في الآداب الشرقية، وأسوق مثلاً واحداً عن محاولة البعض ترجمة قصة لأديب معين، سبق أن

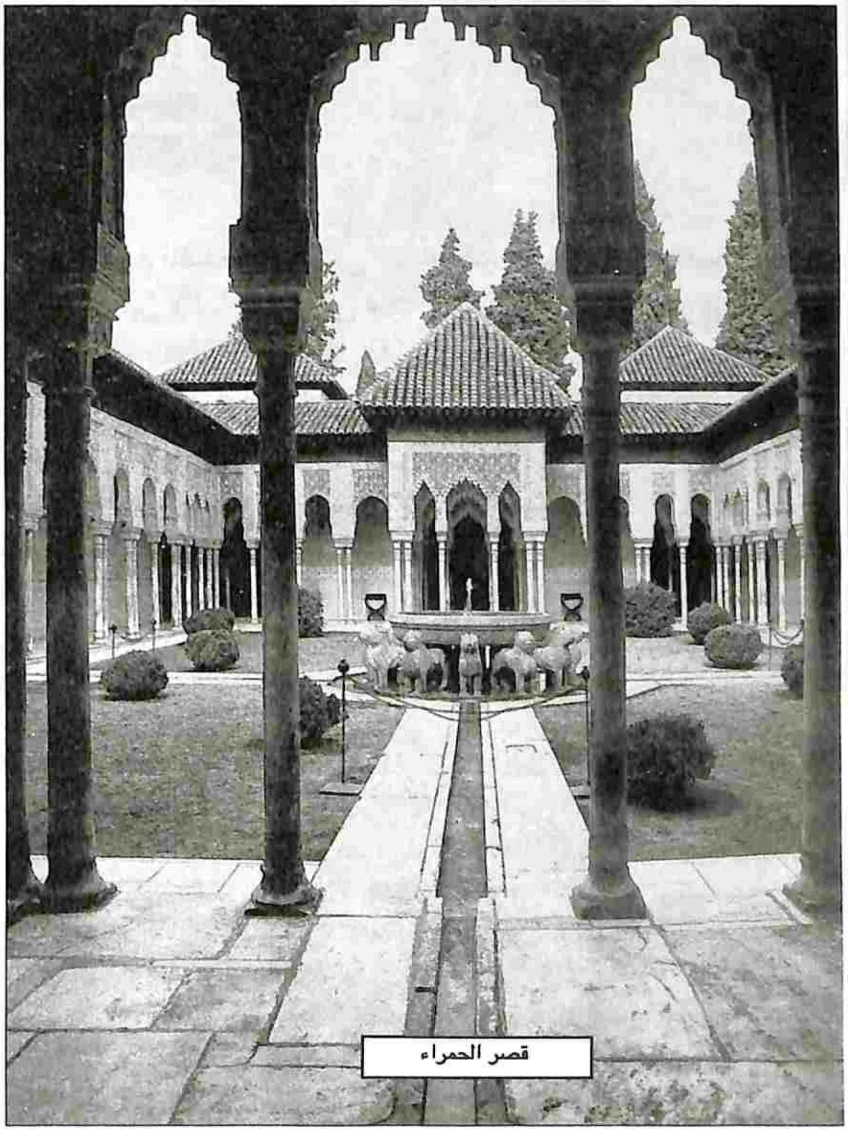

قصر الحمراء

ترجمت، تحت دعوى أنها ترجمة عن الإنجليزية، أو دعوى أنه لم يعرف أنها ترجمت من قبل ! فمثلاً الأديب الهندي بريم تشاند له قصة بعنوان «الكفن» قامت الأستاذة مآثر المرصفي مدير تحرير مجلة الشرق بترجمتها عن الإنجليزية، ولا أدري تاريخ نشرها، لكن نفس القصة لبريم تشاند «الكفن» ترجمها الدكتور إبراهيم محمد إبراهيم وزوجته الدكتورة تبسم منهاس، ونشراها في كتاب ضمن مجموعة قصصية بعنوان: قصص من الهند وباكستان، الطبعة الأولى ١٩٩٩م، ثم جاء الدكتور جلال الحفناوي فترجم نفس القصة ونشرها ضمن مجموعة قصصية صدرت عن المجلس الأعلى للثقافة في مصر، لكنه أشار إلى أن مآثر المرصفي ترجمت القصة عن الإنجليزية وأنه « أضاف إليها بعض الجمل والكلمات عند ترجمته لها عن الأوردية وقارن بين النصين!» وقد صدر الكتاب مؤخراً، وربما لم يطلع الدكتور جلال الحفناوي على ترجمة الدكتور إبراهيم محمد إبراهيم التي نشرت منذ أربع سنوات تقريباً أي عام ١٩٩٩م.

وكاتب هذه السطور ليس بصدد مقارنة للترجمات الثلاث، ولكن أنقل عدة أسطر فقط هي الفقرة الأولى من ترجمتين لأن الترجمة الإنجليزية لا تدخل مجال المقارنة، حتى يدرك القارئ الاختلاف في ترجمة نص واحد إلى العربية من لغة واحدة، ناهيك عن وجود اختلاف في كتابة الأسماء أيضاً، لكني أرجعه - بحسن نية - لأخطاء الطباعة، والله أعلم :

د . جلال الحفناوي

النص الأول

«جلس الأب وابنه في سكون على عتبة كوخهما، وقد خمدت النار التي أشعلاها بجوارهما، وبداخل الكوخ، كانت زوجة الابن الشابة «بدهيا» تعاني آلام المخاض، فتطلق بين الحين والآخر صرخات من فرط قوتها أن توقف دقات قلبيهما، وكان السكون يلف الليل، والقرية بأسرها غارقة في الظلام » ترجمة الدكتور جلال.

النص الثاني

« في ليلة من ليالي الشتاء القارص حيث الصمت يلف المكان، والقرية كلها تسبح في ظلام دامس، جلس الأب والابن صامتين عند باب بيتهما الطيني القديم أمام كومة من النيران تكاد تنطفئ، وداخل البيت كانت زوجة الابن الشابة «بدهيا» تتلوى من آلام الوضع، وتخرج منها بين الفينة والفينة صرخات مدوية تمزق القلب وتكتم أنفاس الأب والابن معاً». ترجمة الدكتور إبراهيم والدكتورة تبسم.

وأعود إلى الموضوع الأصلي لأقول للسيد صلاح حسن رشيد إن موضوع « أندلسيات شوقي وإقبال » موضوع سبق للكثير من المتخصصين الكتابة فيه، وشوقي مشهور في الهند كما هو مشهور في العالم العربي، وكتب البروفسور وقار أحمد رضوي مقالاً في مجلة «كاروان أدب» التي تصدر عن مكتب شبه القارة الهندية لرابطة الأدب الإسلامي في الهند بعنوان «التراجم النثرية الأوردية لمنظومات أمير الشعراء أحمد شوقي بك العربية» (كاروان أدب - يونيو / يوليو ١٩٩٨م) كما أن الموضوع ذاته نشرت عنه أبحاث بالأوردية في المجلد الضخم (٧٩٠ صفحة) الذي أصدرته الجامعة الإسلامية الدولية بعنوان أندلس كي إسلامي ميراث « أي التراث الإسلامي في الأندلس».

ومن الأبحاث المتعلقة بموضوعنا بحث الدكتور القدير محمد رياض بعنوان الأندلس والعلامة إقبال، وبحث آخر بعنوان إقبال في مسجد قرطبة للدكتور محمود الرحمن، وفيهما ما جاء في كتاب الدكتور المصري، ونفس الموضوع كتب عنه أستاذ دراسات إقبال مرزا محمد منور - يرحمه الله - الذي كان قد أهدى كتبه لأستاذنا الدكتور حسين مجيب المصري، كتب عن الموضوع في مجلة الكلية الشرقية عام ١٩٨١م إقبال ومسجد قرطبة، وهو الذي أشار على أستاذنا بالكتابة عن إقبال وشوقي، والباحثون في شبه القارة يركزون على إقبال ومسجد قرطبة، وليس على إقبال وقصر الحمراء، وهكذا فعل الندوي المفترى عليه، فهو كما ذكر السيد صلاح رشيد من الهند.

وفي الهند كتب محمد بديع الزمان من بتنه بحثاً قيماً بعنوان « إقبال وسرزمين أندلس» أي إقبال وبلاد الأندلس يتكون من سبعة عناصر، تضم ما ذكره السيد صلاح رشيد وأكثر، وقد استفاد من هذه الأبحاث وغيرها الدكتور جلال الحفناوي وكتب أيضاً بحثاً عن نفس الموضوع بعنوان الأندلس بين إقبال وشوقي.

فرفقاً بالدكتور الندوي... لقد كتب معتمداً على مصادر أوردية أصيلة أخذ منها واستفاد وكتب مقاله القيم، وليس ذنبه أن الدكتور المصري كتب كتاباً عن الموضوع نفسه واستفاد مما كتب عن الموضوع باللغة الإنجليزية، مترجماً عن الأوردية، فكلاهما غرفا من طبق واحد!

وأتمنى أن تثير مجلة الأدب الإسلامي قضايا الكتابة والترجمة عن آداب الشعوب الإسلامية لأن في هذا إثراء للأدب الإسلامي وتعريفاً للقارئ العربي بالتراث الإسلامي لدى الشعوب المسلمة. ■